مجلة تدبر

البحث الثاني :

المنهج القرآني: أسسه وقواعده في التعامل
دراسة تدبرية تأملية في سورة الحجرات

د. سعيد بن راشد الصوافي

الأستاذ المساعد بقسم العلوم الإسلامية

كلية التربية - جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان

alsuwafi@squ.edu.om

- حصل على درجة الماجستير من جامعة آل البيت ـ المملكة الأردنية الهاشمية في تخصص القرآن الكريم وعلومه بأطروحته : (الوحدة الإنسانية في القرآن الكريم)
- حصل على درجة الدكتوراه من جامعة الزيتونة ـ الجمهورية التونسية في العلوم الإسلامية في تخصص علوم القرآن والتفسير (بأطروحته: منهج ابن بركة في علوم القرآن والتفسير في كتابه الجامع دراسة منهجية مقارنة)
- من مؤلفاته:
- الوقف والابتداء واثرهما في المعاني القرانية
- القران الكريم واستشراف القيم الانسانية : قيمة العدل انموذجا
- السند : مفهومه واهميته واثره في التفسير
- الالفات السبع في القران الكريم بين الرسم والقراءة
- تدبر القران الكريم وصناعة الشخصية المسلمة

ملخص البحث

يتناول هذا البحث جانبًا مهمًّا في الحياة الإنسانية، فهو يبيِّن المنهج القرآني: أُسُسه وقواعده في التعامل، من خلال دراسة تدبُّرِيَّة تأمُّلِيَّة في سورة الحجرات، وقد جاء تقسيمه إلى: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين.

- **المُقدِّمة** تتضمن نبذة عن الموضوع وأهميته، وأهداف الدراسة، والمنهجية، وأسئلة الدراسة، والدراسات السابقة، والخُطَّة.
- **التمهيد** فقد كان حول سورة الحجرات: بيان التنـزيل، ومقتضيات المضمون.
- **المبحث الأول كان بعنوان: «منهج التعامل مع الله ورسوله»**، وشمل مطلبين:
  - **الأول**: منهج التعامل مع الله تعالى عقيدة وشريعة.
  - **والثاني**: منهج التعامل مع المقام النبوي.
- **المبحث الثاني فقد كان عن منهج التعامل الإنساني**، وشمل مطلبين:
  - **الأول**: منهج التعامل في ظِلّ الوَحدة الإنسانية.
  - **والثاني**: منهج التعامل في ظِلّ المجتمعات الإنسانية.
- **وأخيرًا الخاتمة**: حوَت أهم النتائج والتوصيات.

ويهدف البحث إلى إبراز منهج القرآن الكريم في تعامُل المسلم مع الله تعالى، ومع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتعامُل المسلم مع غيره من بني البشر، كما ورد في سورة الحجرات، واستخلاص أهمية هذا المنهج القرآني وبيان دوره في تنظيم حياة المسلم.

كلمات مفتاحية:

الحجرات ، التعامل ، المنهج ، التدبر ، التأمل.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، خلَق الإنسان وكرَّمه، وفضَّله على سائر مخلوقاته، وجعلَه خليفة في الأرض، والصلاة والسلام على سيدنا محمد قدوة العالمين، وسيد الأولين والآخرين، صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عندما جعل هذا الإنسان خليفة في الأرض، وضَع له المنهج الذي يسير عليه، والقواعد والأسس التي ينطلق منها، تَمثَّل ذلك في إنزال الرسالات السماوية إلى البشر، وآخر هذه الرسلات الرسالة الخاتمة التي جاء بها سيدنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقد جاء بالهدى والنور، والمنهج الربَّانيّ (القرآن الكريم).

والحديث عن المنهج القرآني حديث عن النظام المُحكَم للكون وما فيه؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي أبدَع الكون من العدم، وأوجَد فيه من المخلوقات ما لا يُحصى عددًا، وجعَل أشرف هذه المخلوقات وأكرمَها بني آدم ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقد اختار لهذا المخلوق المُكرَّم منهجًا ودستورًا في الحياة، ينظِّم سلوكه في الأرض، وعلاقته بخالقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلاقته بنفسه، وبغيره.

وقد حوى القرآن الكريم المناهج التي يحتاجها البشر في تعاملاتهم في حياتهم المعاشية، ولم يدَع جانبًا من جوانب الحياة إلا كانت له نظرته الخاصة، ومنهجه المُستقلّ؛ بحيث ينتج من مجموع مناهجه وأنظمته، تشريع متكامل لمناحي الحياة كلها ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣][(١)].

حوى القرآن الكريم المنهج القويم المتكامل للتعامل، ولا نستطيع في مثل هذا البحث المتواضع أن نأتي على جزئيات هذا المنهج، فهو شامل لجميع نواحي الحياة الإنسانية ومجالاتها المختلفة.

وقد لفت انتباهي وأنا أقرأ سورة الحجرات وأتدبَّرُها؛ ما فيها من كنوز عظيمة، وما تحمله من معانٍ سامية، وما تتضمنه من مناهج مُحكَمة، وما يتخلل ذلك من أوامرَ ونواهٍ وتوجيهات، إن هذه السورة الكريمة حريّ بالمرء أن يتوقف عندها؛ سواء بالتأمل والتدبر، أو بالتحليل والدراسة، ولعلِّي أستفيد مما سطَّره الكاتبون قبلي، أو أُفيد بما يفتح الله عليّ.

ومهما كُتب حولها من دراسات، فلن يزال البحث واسعًا، والمجال خصبًا للباحثين والدارسين، وصدق رسولنا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - إذ يقول في وصف القرآن الكريم: «وهو الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلَق على كثرة الردّ»[(٢)]. لذا اخترت سورة الحجرات لتكون أنموذجًا للمنهج القرآني في التعامل، ورغم أنها من السور القصار؛ إلا أنها تمثل منهجًا متكاملًا؛ حيث حوت

(١) يُنظر: مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم (٢٤٩).

(٢) جزء من حديث طويل، رواه الترمذي وغيره، يُنظر: سنن الترمذي، للترمذي، رقم الحديث (٢٩٠٦)، باب: فضل القرآن، (٥/ ١٧٢).

أهم المرتكزات والقواعد والأسس التي من شأنها أن تجعل المجتمع مجتمعًا مثاليًّا راقيًا يسير وفق المنهج السديد، ولذلك سُمِّيت هذه السورة بسورة «الآداب والأخلاق».

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الدراسة في الآتي:

١) **تناولها لموضوع غاية في الأهمية في حياة المسلم**، وهو المنهج الذي ينبغي أن يسلكه في تعامله مع الله تعالى، ومع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع الآخرين.

٢) **تقديمها توجيهات قرآنية غاية في الرُّقيّ في مجال التعامل**، في ظِلّ تأزُّم العلاقات الإنسانية في العصر الراهن.

٣) **ما ستُقدِّمه من توصيات تتعلق بأسس التعامل**، والموضوعات التي تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة في هذا المجال.

أهداف الدراسة تتمثل في الآتي:

١) **إبراز منهج القرآن الكريم في تعامل المسلم مع الله تعالى**، ومع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ورد في سورة الحجرات.

٢) **توضيح منهج القرآن الكريم في تعامل المسلم مع غيره** كما ورد في سورة الحجرات.

٣) **استخلاص أهمية هذا المنهج القرآني** ودوره في تنظيم حياة المسلم.

أسئلة الدراسة:

- **تسعى الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:**

- **ما المنهج القرآني في تعامل المسلم مع الله تعالى** كما ورد في سورة الحجرات؟
- **ما المنهج القرآني في تعامل المسلم مع الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ورد في سورة الحجرات؟
- **ما المنهج القرآني في تعامل المسلم مع غيره** في ظِلّ الوَحدة الإنسانية كما ورد سورة الحجرات؟
- **ما المنهج القرآني في تعامل المسلم مع غيره** في ظِلّ المجتمعات الإنسانية كما ورد سورة الحجرات؟

الدراسات السابقة:

مثل هذا الموضوع يجب أن يكون فيه دراسات كثيرة ومتنوعة؛ لأنه يلامس حياة المجتمع الإنساني اليومية، ومع أن هناك دراسات عديدة أجريت حول سورة الحجرات، إلا أنها تميل إلى الناحية التفسيرية؛ سواء التفسير التحليلي، أو التفسير الموضوعي، أو التركيز على بيان الجوانب الخُلُقية والتربوية، وأهم الدراسات التي تسنَّى لي الاطلاع عليها الآتي:

١) الأمين (١٩٧٦م)، سورة الحجرات منهج تربوي لمجتمع مثالي، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز:
تناولت هذه الدراسة تعريفًا للتربية وأهدافها وتاريخها، مع التركيز على التربية

الإسلامية، ثم التعريف بسورة الحجرات، وإبراز عناصرها الأساسية، وناقشت بعض الجوانب المتعلقة بالتربية.

٢) **اللوح (٢٠٠٤م)، التربية الأخلاقية في ضوء سورة الحجرات،** بحث مُقدَّم إلى المؤتمر التربوي الأول «التربية في فلسطين وتغيرات العصر» كلية التربية – الجامعة الإسلامية، ٢٣ – ٢٤/ ٢٠٠٤م: وهذه الدراسة قائمة على منهج التفسير الموضوعي لسورة الحجرات، وقد تم تقسيم الموضوع على أساس مقاطع السورة، كل مقطع يحمل موضوعًا معينًا، وعلاقة هذه المقاطع ببعضها، وربط الآيات بالواقع الحالي للأمة الإسلامية.

٣) **الشنقيطي (٢٠٠٦م)، الأوامر في سورة الحجرات،** بحث نشر في المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية): تناول الأوامر الواردة في سورة الحجرات، وقسَّمَه إلى تمهيد وثمانية فصول: التمهيد في الأمر وتعريفه، وحكمه، وأنواعه. أما الفصول فقد تناولت الأوامر في سورة الحجرات.

٤) **العمر (٢٠١١م)، سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية:** وهو عبارة عن تفسير لسورة الحجرات، يتضمن قسمين: الأول: تناول دراسة الآيات وتفسيرها تفسيرًا تحليليًّا؛ من حيث أسباب نزول الآيات، والقراءات الواردة في السورة، وبعض أحكام التجويد، وتناول معاني الآيات وتفسيرها، وما ورد في السورة من أحكام. والقسم الثاني: تناول دراسة السورة دراسة موضوعية شاملة.

٥) **زغرب (٢٠١٦م) الوصايا التسع في سورة الحجرات في التعامل مع الناس،** تناول فيه الوصايا التسع المعروفة في سورة الحجرات، ولأن المؤلف إمام وخطيب مسجد الفرقان بفلسطين، فإنه تناول الموضوع بأسلوب وعْظِيّ دعَويّ.

٦) **عودة، أدب المعاملة وأثره في بناء العلاقات الإنسانية من منظور قرآني،** بحث بالشبكة العالمية:

ركّز على جانبين:

الأول: التوجيهات القرآنية التي تحث على الالتزام بأدب التعامل مع الآخرين، ودوره في بناء العلاقات الإنسانية.

الثاني: الوقوف مع أنموذج تطبيقي، وهو موقف يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع السجناء، وانعكاس ذلك على علاقته بهم.

۞ المنهجية:

اتبعتُ في هذا البحث المنهجين: الاستنباطي، والاستردادي؛ حيث قمت بتحديد الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الدراسة، واستنباط دلالاتها ومعانيها، والاسترشاد بأقوال المفسرين والعلماء والباحثين، ولم أتعمق في اختلافات العلماء في المسائل الفقهية؛ وإنما حاولتُ الاقتصار على المختصر المفيد؛ تجنبًا للحشو والتطويل، فحسبي إظهار جوانب المنهج القرآني في التعامل، ولم ألتزم بترتيب آيات السورة، وإنما استشهدت بالآيات حسب مقتضى تقسيم البحث.

۞ خُطَّة الدراسة:

تشمل هذه الدراسة الآتي:

* **مقدمة:** حوت نبذة عن الموضوع وأهميته، وأهداف الدراسة، والدراسات السابقة، والمنهجية المُتَّبَعة.
* **التمهيد:** في سورة الحجرات: بيان التنـزيل ومقتضيات المضمون.

* **المبحث الأول: منهج التعامل مع الله ورسوله، وشمل مطلبين:**
  - المطلب الأول: منهج التعامل مع الله تعالى عقيدة وشريعة.
  - المطلب الثاني: منهج التعامل مع المقام النبوي.
* **المبحث الثاني: منهج التعامل الإنساني، وشمل مطلبين:**
  - المطلب الأول: منهج التعامل في ظِلّ الوَحدة الإنسانية.
  - المطلب الثاني: منهج التعامل في ظِلّ المجتمعات الإنسانية.
* **الخاتمة: حوت أهم النتائج والتوصيات**

❊ ❊ ❊

التمهيد

في سورة الحجرات

بيان التنزيل ومقتضيات المضمون

١) تعريف بالسورة:

* **سورة الحجرات مدنية.**
* **عدد آياتها ثماني عشرة آية**[١].
* **هي السورة الثامنة بعد المئة في ترتيب نزول السور.**
* **نزلت بعد سورة المجادلة وقبل سورة التحريم.**
* **وكان نزول هذه السورة سنة تسع، وتسميتها بسورة الحجرات** لِذِكر الحجرات بها[٢] كعادة تسمية بقية السور القرآنية؛ إذ تُسمَّى بأشهَر شيء ذكرَتْه السورة، والمقصود بالحجرات: حجرات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي بيوت أزواجه الطاهرات.

وسورة الحجرات تمثل المنهج الرباني المتكامل للمجتمع الإنساني، «وهي - على وجازتها - جمعت أحكامًا جليلة ضخمة، تتعلق بحقائق التربية الخالدة، وأسس المدنية الفاضلة، حتى سمّاها بعض العلماء سورة الأخلاق»[٣].

وأول ما يبرز للنظر عند مطالعة السورة الكريمة أنها تكاد تستقل بوضع معالم

---

(١) يُنظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٣٦٤)، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، (٥/ ٨٣).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ١٧٨).

(٣) قبس من نور القرآن الكريم، للصابوني (١٢/ ٢٠٣).

كاملة لعالم نظيف، متضمنة القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التي يقوم عليها هذا العالم، والتي تكفل قيامه وصيانته، عالَم يصدر عن الله، ويتجه إلى الله، عالَم نقي القلب، نظيف المشاعر، عفّ اللسان، وقبل ذلك عفّ السريرة، عالم له أدب مع الله، وأدب مع رسوله، وأدب مع نفسه، وأدب مع غيره[1].

■ **غرض السورة الكريمة بشكل عام:**

* **إرشاد المؤمنين إلى بعض الآداب التي ينبغي الالتزام بها في التعامل مع الله ورسوله،** وكذلك بعض المناهج في التنظيم الاجتماعي.
* **كما أن هذه السورة ركزّت على بعض المبادئ والقواعد والأسس في التعامل بين الناس،** كما حوت بعض الأمور التشريعية والعقدية، وحقائق عن الوجود الإنساني[2].
* **وهذه الموضوعات كلها تهدف إلى تخلية المجتمع من الأمراض الاجتماعية،** وتحليته بالفضائل والقيم العليا.

٢) أهم موضوعاتها:

شملت سورة الحجرات موضوعات متعددة: تنوعت بين الأحكام، والآداب، والإيمان. وكلها تهدف إلى سلوك المنهج القويم في التعامل؛ سواء كان هذا التعامل مع الله تعالى وشرعه القويم، أو التعامل مع رسوله الكريم ﷺ، أو تعامل الناس بين بعضهم، مع الرباط الوثيق المتصل بالله سبحانه خالق الكون والإنسان، والحاكم والمتصرف فيهما، قال الفخر الرازي عند الكلام على قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]: «هذه السورة

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٦/ ٣٣٣٥).

(٢) سورة الحجرات منهج تربوي لمجتمع مثالي، للأمين (٥٢).

فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إما مع الله تعالى، أو مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو مع غيرهم من أبناء الجنس»[1].

❊ ❊ ❊

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٨/ ٩٧-٩٨).

المبحث الأول

منهج التعامل مع الله ورسوله

الإنسان في هذا الكون يتعامل مع عوالم مختلفة، يتعامل مع الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، باعتباره خالق هذا الكون ومُدبِّره، فهو مُطالَب بالإيمان به وعبادته، وتطبيق شرعه، ويتعامل مع رسوله الكريم الذي أرسله بهذا الشرع الحنيف، كما يتعامل مع بني جنسه من البشر، وهو أيضًا يتعامل مع عوالم مختلفة في هذا الكون، وقد رسَم القرآن الكريم لهذا الإنسان المنهج القويم في التعامل مع هذه العوالم.

۞ ويشير القرآن الكريم إلى مبدأ مهم في التعامل:

فالدِّينُ في المنظور القرآني ليس صلاةً وصيامًا في جهة، وجلافةً وجَفَاءً في التعامل في الجهة الأخرى، بل هو وَحْدَةٌ متكاملة يرتبط فيها الجانب الإيماني بالجانب العَملي في الحياة، قال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فهذه الآية تشير إلى ملامح الشخصية الإسلامية التي ترتكز على جانبين اثنين: جانب الفكر والإيمان وأداء العبادات، وجانب الممارسة في السلوك الذاتي، وفي العلاقة مع الناس ومع المواقف الصعبة في الحياة.

نلمح ذلك من خلال تحديد طبيعة البِرّ الذي يعني التوسُّع في الخير والإحسان،

كما يذكر أهل اللغة[1]، لأنه يمثِّل سرَّ الشخصيَّة لدى المؤمن في آفاق التصوُّر وميدان التعامل، فبالإيمان والعمل تتكامل الشخصية وتنطلق[2].

❊ ❊ ❊

(١) يُنظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني (٥٠).

(٢) أدب المعاملة وأثره في بناء العلاقات الإنسانية من منظور قرآني، لعودة عبد (٣٠٠).

المطلب الأول

منهج التعامل مع الله تعالى عقيدة وشريعة

الإنسان مخلوق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويجب عليه أن يحقق معنى العبودية الخالصة لخالقه، ويتمثل ذلك في هذه السورة الكريمة من خلال ثلاثة جوانب:

- **الأول: الإيمان الحقيقي الخالص لله سبحانه.**
- **الثاني: اتباع شرع الله المُنزَّل على سيدنا محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- **الثالث: تقوى الله تعالى.**

أولًا: في جانب الإيمان:

بيَّنت السورة الكريمة منهجًا سديدًا في التعامل مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الجانب الإيماني، فقد بيّنت حقيقة الإيمان والإسلام(١)، ورسمت المنهج الذي يجب أن يسلكه الإنسان المسلم، وأنه لا يمكنه ادِّعاء الإيمان بمجرد دخوله في الإسلام، فالله يعلم ما في ضمير الإنسان ومُطَّلِع عليه؛ فبدأت الآيات ببيان الخطأ الذي وقع فيه الأعراب الذين يظنون أنهم آمنوا، وادعوا بمجرد دخولهم الإسلام مقام الإيمان، بل ويمنُّون على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإيمانهم، فبيّنت السورة الكريمة لهؤلاء أن الأَوْلى أن يحمدوا الله تعالى على توفيقه إياهم للهداية إلى الإيمان ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [الحجرات: ١٤].

قيل: إن هذه الآيات نزلت في أعراب بني أسد، قالوا: آمنَّا أول ما دخلوا في الإسلام، ومَنُّوا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: يا رسول الله أسلمنا وقاتلَتْكَ

(١) كثر كلام العلماء حول الإسلام والإيمان والفرق بينهما، ولا مجال للحديث هنا عن ذلك اختصارًا.

العربُ ولم نُقاتِلك[1].

فأراد الله أن يُعلِّمهم حقيقة ما هو قائم في نفوسهم وهم يقولون هذا القول، وأنهم دخلوا في الإسلام استسلامًا، ولم تصل قلوبهم بعد إلى مرتبة الإيمان. فدل بهذا على أن حقيقة الإيمان لم تستقرّ في قلوبهم، ولم تشْرَبها أرواحهم: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤][2].

والذي يظهر أن هؤلاء الأعراب قالوا هذا الكلام جهلًا منهم، فإنهم يظنون أنهم بمجرد دخولهم الإسلام أصبحوا مؤمنين خُلَّصًا.

قال ابن تيمية: «وسياق الآية يدل على أن الله ذمهم لكونهم منُّوا بإسلامهم لجهلهم وجفائهم وأظهروا ما في أنفسهم مع علم الله به»[3].

ثم إن المنهج القرآني لم يُنكر على هؤلاء الأعراب هذا التصرف فحسب، بل بيَّن لهم الصواب، وهو أن حقيقة الإيمان ليست دعوى باللسان، وإنما عقيدة راسخة في القلب، تظهر آثارها في تصرفات الإنسان[4]، فالمؤمن الحق هو من أخلص في إيمانه، وصدَّق تصديقًا جازمًا لا يمازجه شكّ ولا ريب، وقام بما يجب عليه تجاه خالقه، ودينه ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

ويؤكِّد القرآن الكريم أن هذا هو الإيمان الصادق ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ «الصادقون في عقيدتهم، الصادقون حين يقولون إنهم مؤمنون، فإذا لم تتحقق

---

(١) مسند البزار، للبزار، حديث رقم (٥١٤١) مسند ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١١/ ٣٢٨)، والأحكام الشرعية الكبرى، للإشبيلي (٤/ ٢١١).

(٢) في ظلال القرآن، لقطب (٦/ ٣٣٤٩).

(٣) الإيمان، لابن تيمية (١٩٣).

(٤) قبس من نور القرآن الكريم، للصابوني (١٢/ ٢٢٢).

تلك المشاعر في القلب، ولم تتحقق آثارها في واقع الحياة، فالإيمان لا يتحقق، والصدق في العقيدة وفي ادعائها لا يكون»(١).

كما أوضحت الآيات الكريمة ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من الأدب مع الله سبحانه، الذي لا يخفى عليه ما في الضمائر، ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحجرات: ١٦].

ثم يأتي التوجيه الرباني إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧] أي: يمنُّون عليك بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم(٢)، فالله غني عن عباده وعن إيمانهم وعبادتهم، والعباد هم المحتاجون إليه سبحانه. لو تفكَّر الإنسان العاقل الذي هداه الله إلى الإيمان، لأيقَنَ بصدق أنه ممنون لله بهذا التوفيق الذي هداه الله إليه؛ فالإيمان يمنح الإنسان التصور الصحيح لهذا الكون، وهذه الحياة وما فيها من أسرار، تنعكس عليه في حياته وفي تعامله مع الكون بما فيه من عوالم مختلفة.

وتختم السورة الكريمة بتنبيه هؤلاء الأعراب وغيرهم على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المتفرِّد بعلم الغيب يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه ما عليه حالكم من أعمال، وحتى ما تُكِنّه الصدور وتُخفِيه النفوس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحجرات: ١٨].

❁ ثانيًا: في جانب التشريع:

المُشرِّع هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والإنسان مُطالَب بأن يُطبِّق شرع الله في جميع شؤون الحياة، ولا يمكن لأي إنسان أن يُقدِّم أو يؤخِّر شيئًا في شرع الله.

(١) في ظلال القرآن، لقطب (٦/ ٣٣٥٠).
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٣٩٠).

وفي هذه السورة الكريمة، بل في بدايتها رسمٌ للمنهج الذي ينبغي على الإنسان اتباعه تجاه شرع الله الذي بعث به رسوله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد ابتدأت السورة الكريمة بنداء عباد الله المؤمنين، محدِّدة المنهج الذي يجب عليهم اتباعه في تعاملهم مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وشرعه الذي بُعِث به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمره بتبليغه إياهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات: ١] «أي: لا تُقدِّموا قولًا ولا فعلًا بين يدي الله وقول رسوله وفعله، فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا»(١).

قرأ الجمهور ﴿تُقَدِّمُواْ﴾ بضم الفوقية وكسر الدال مشددة. وقرأ يعقوب بفتحهما ﴿تَقَدَّمُوا﴾ على أن أصله: لا تتقدموا(٢).

والتقدم حقيقته: المشي قبل الغير، وفعله المجرَّد: قدم من باب نَصَرَ، قال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [هود: ٩٨]. وهنا استعارة تمثيلية؛ بتشبيه حال من يفعل فِعلًا دون إذن من الله ورسوله، بحال من يتقدم مماشيه في مشيه ويتركه خلفه(٣). أي لا تُقدِّموا أنفسكم في حضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي: لا تجعلوا لأنفسكم تقدُّمًا ورأيًا عنده، وحينئذ تتحد القراءتان في المعنى، وهما قراءة من قرأ بفتح التاء والدال، وقراءة من قرأ بضم التاء وكسر الدال(٤).

والمقصود: لا تعجلوا بقضاء أمر قبل أن يُقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله ورسوله، بل كُونوا تبعًا لحكم الله ورسوله في جميع الأمور(٥). وقد

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦/ ٢٧٣).
(٢) القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، لشرف (٥١٥).
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ١٨٠).
(٤) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٨/ ٩٢).
(٥) جامع البيان في تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري (٢١/ ٣٣٥). وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٣٦٤).

حصل من قوله ﴿تُقَدِّمُوا﴾ معنى اتبعوا الله ورسوله[1].

ومفاد هذا المنهج هو أنه لا يمكن للبشر - بأي حال من الأحوال - أن يقترحوا أحكامًا تشريعية، فضلًا عن أن يكون لهم الصدارة في سَنّ الأحكام الشرعية، فالله سبحانه هو المُشرِّع، أو أن يُبدوا رأيًا في أي حكم شرعه الله عليهم، وإنما عليهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا، فأحكام الله لا تقبل المفاصلة ولا المساومة، ولا يحقّ لأي إنسان أن يعترض على حكم الله، أو أن يتدخل في تغيير شيء من أحكامه، بل التسليم المُطلَق، والعمل دون تردُّد، لأن الحاكمية المُطْلَقة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو وحده مصدر التشريعات والأحكام، عن طريق إنزالها على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإنسان يجب أن يتلقى أحكام الله وتشريعاته بالقبول والتسليم، وعليه تنفيذها؛ باتباع الأوامر الإلهية، والانتهاء عما نهى الله عنه.

لذا فإن العالم الإسلامي مطالب اليوم أن يقف عند هذه الآية الكرية، ويتدبر فحواها، ويعي مدلولها، في سنّ التشريعات، وإصدار القوانين المنظمة للمجتمعات؛ لأنه لا يحق للمسلمين ولو اجتمعوا أن يُشرِّعوا شيئًا من عقولهم ما دام كتاب الله تعالى ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أظهرهم، والواجب عليهم أن ينطلقوا من هدي الله ومنهجه، المتمثل في الكتاب والسُّنّة.

ثالثًا: في جانب التقوى:

تقوى الله تعالى عامل مهمٌّ لتزكية النفس وتهذيبها، ويترتب عليها آثار مهمّة في حياة الإنسان، فالتقوى قوّة داخليّة وقدرة نفسية تمتلك من خلالها النفس القدرة على إطاعة الأوامر الإلهيّة، وعلى مقاومة ميولها وأهوائها، ومنشؤها الخوف من

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ١٨١).

الله، وأثرها تجنّب معصيته وسخطه، وهي تساعد الإنسان على تجنُّب حبائل الشيطان وإغراء الدنيا[١].

يقول الإمام ابن قيم الجوزية في بيانِ حقيقة التقوى: «وأما التقوى فحقيقتُها العملُ بطاعة الله إيمانًا واحتسابًا، أمرًا ونهيًا، فيفعل ما أمر الله به إيمانًا بالأمر، وتصديقًا بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيمانًا بالنَّهي، وخوفًا من وعيده»[٢].

ومن خلال هذا التَّعريف والبيان لحقيقة التَّقوى، والتأمل في آيات هذه السورة الكريمة تظهر أهميتها في حياة الإنسان؛ فقد أمر الله بها، وجعلها ثمرة طاعته في أداء العبادات التي كلَّف بها العباد، كما جعلها الميزان الحقيقي لتفاضل النَّاس، ولذلك كان مقرُّها القلب، الَّذي هو أعظم عضوٍ في الإنسان، والَّذي عليه مدار صلاح سائر الأعضاء والأركان، حيث بصلاحه يصلح الجسد كلُّه، وبفساده يفسد الجسد كلُّه[٣].

وقد ورد ذكر التقوى في هذه السورة الكريمة في مواضع مختلفة، تنوعت بين الأمر بها، وبيان أثرها، وامتداح الملتزمين بها، وهي على النحو الآتي:

ورد الأمر بها في افتتاح السورة الكريمة -بعد نهي المؤمنين من التقدم بين الله ورسوله- في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ [الحجرات: ١]، «فهو أدب نفسي مع الله ورسوله، وهو منهج في التلقِّي والتنفيذ، وهو أصل من أصول التشريع والعمل في الوقت ذاته، وهو منبثق من تقوى الله، وراجع إليها، هذه التقوى النابعة من الشعور بأن الله سميع عليم»[٤].

---

(١) تزكية النفس وتهذيبها، للأميني (١٠١).

(٢) الرسالة التبوكية، لابن قيم الجوزية (٨).

(٣) التقوى: حقيقتها وأهميتها وثمرتها، شبكة راية الإصلاح.

(٤) في ظلال القرآن، لقطب (٦/ ٣٣٣٨).

ويأتي ذكر التقوى في الآية الثالثة من السورة الكريم، ليس أمرًا بها، ولكن امتداحًا للذين يسيرون على منهج الله، وينفذون أوامره، فهم الذين نجحوا في الامتحان، نتيجة التقوى التي يتحلون بها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣﴾ [الحجرات: ٣]. أي: أخلص قلوبهم، والمعنى: اختبر الله قلوبهم فوجدهم مخلصين[(١)].

قال ابن جرير: «هم الذين اختبر الله قلوبهم بامتحانه إياها، فاصطفاها وأخلصها للتقوى، يعني لاتقائه بأداء طاعته، واجتناب معاصيه، كما يمتحن الذهب بالنار، فيخلص جيدها، ويبطل خبثها»[(٢)]، فهؤلاء هم الذين تقع السكينةُ عليهم من هيبة حضرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بسبب التقوى، فهم الذين امتحن اللهُ قلوبَهم للتقوى بانتزاع حُبِّ الشهوات منها[(٣)].

ويعود السياق بالأمر بالتقوى في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات: ١٠]، والأمر هنا في هذا الموضع فيه إشارة إلى ما يصونهم عن التشاجر؛ لأن من اتقى الله شغله تقواه عن الاشتغال بغيره[(٤)].

ثم يأمر الله تعالى بالتقوى بعد أمره عباده المؤمنين باجتناب الظن السيئ، ونهيه سبحانه عباده عن التجسس والغيبة، وهي أمراض نفسية اجتماعية خطيرة، تأكيدًا منه سبحانه أن التقوى تعصم صاحبها من الوقوع في مثل هذه المحظورات،

---

(١) سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية، للعمر (٢٧).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢/ ٢٨٢).

(٣) لطائف الإشارات للقشيري (٣/ ٤٣٨).

(٤) يُنظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٨/ ١٠٦).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

ثم يأتي البيان الإلهي ليبيّن أن التقوى هي الميزان الحقيقي الذي يتفاضل به الناس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

قال البيضاوي: «فإن التقوى بها تكمل النفوس، وتتفاضل بها الأشخاص، فمن أراد شرفًا فليلتمسه منها، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: **«من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله»**»[1].

❁ ❁ ❁

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٥/ ١٣٧). والحديث رواه القضاعي، مسند الشهاب، رقم الحديث (٣٦٧)، (٢/ ٢٣٤). وذكره الجرجاني في الضعفاء وضعّف راويه. يُنظر: الكامل في الضعفاء، للجرجاني (٨/ ٤٠٥).

المطلب الثاني

منهج التعامل مع المقام النبوي

مقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقام عظيم عند الله تعالى، فقد اختصه بخصائص من بين سائر الأنبياء والرسل، وقد وجَّه الحق تبارك وتعالى الناس إلى احترام نبيهم وإجلاله، وإنزاله المنزلة التي تليق بمقامه العالي، وأن يتأدبوا في الحديث معه وفي حضرته وفي مخاطبته، أدبًا ينعكس على حركاتهم وسكناتهم، وحتى على نبرة أصواتهم، وكان المنهج القرآني في التعامل مع مقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يأتي:

١) عدم رفع الصوت في حضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

من المناهج القرآنية في التعامل عمومًا هو خفض الصوت، وعدم رفعه، يظهر ذلك في التوجيه القرآني في قوله: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ [لقمان: ١٩]، والحكمة من ذلك كما يقول الألوسي: «أنه أوفر للمتكلم، وأبسط لنفس السامع، وفهمه»[(١)].

وإذا كان هذا المنهج مطلوبًا مع العامة؛ فإنه يكون أكيدًا مع من لهم مكانة وشأنًا عند الله سبحانه وعند البشر، وعلى هذا المنهج القرآني جاء التوجيه بخفض الصوت في حضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه السورة الكريمة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢].

وسبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري في صحيحه في قصة وفد بني تميم بسنده إلى ابن الزبير، قال: قَدِم ركب من بني تميم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة. قال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس. قال

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي (١١/ ٩٠).

أبو بكر: ما أردت إلا خلافي. قال عمر: ما أردت خلافك. فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حتى انقضت الآية[1].

والرفع: مستعار لجهر الصوت جهرًا متجاوزًا لمعتاد الكلام[2].

قال الفخر الرازي في تفسير ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾: «المراد حقيقته؛ وذلك لأن رفع الصوت دليل قلة الاحتشام وترك الاحترام»[3].

وإذا كانت الآية الكريمة قد نزلت في أفضل الناس وخيرة الرجال من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهما رفعا صوتيهما في أمر يريان فيه مصلحة لدين الله، أمام حضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يكن ذلك منهما بقصد الإيذاء؛ فكيف بغيرهما من عامة المسلمين[4]؟!

۞ ٢) عدم الجهر بالقول في مخاطبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات: ٢] فقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ نهي عن جهر آخر وهو الجهر بالصوت عند خطابهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لوجوب التغاير بين مقتضى قوله ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] ومقتضى ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾[5].

---

(١) صحيح البخاري، للبخاري، حديث رقم (٤١٠٩) باب: وفد بني تميم (٤/ ١٥٨٧).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ١٨٤).

(٣) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٨/ ٩٣).

(٤) يُنظر: قبس من نور القرآن الكريم، للصابوني (١٢/ ٢٠٨).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ١٨٤).

أخرج ابن جرير الطبري عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ «كانوا يجهرون له بالكلام، ويرفعون أصواتهم، فوعظهم الله، ونهاهم عن ذلك»(١). وإذا كان هذا في مجلس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي حضرته، فإنه كذلك بعد التحاقه بالرفيق الأعلى، فاحترام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجب أن يكون في كل الأحوال؛ سواء كان في حضرته أو في غيبته، في حياته أو في مماته، قال الحافظ ابن كثير: «قال العلماء: يُكره رفع الصوت عند قبره، كما كان يُكره في حياته؛ لأنه محترم حيًا وفي قبره، صلوات الله وسلامه عليه، دائمًا»(٢).

۞ ٣) الثناء على من يغض الصوت في حضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

امتدح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الممتثلين للنهي الإلهي عن رفع الصوت وعن الجهر بالقول في حضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجعل منزلتهم منزلة المؤمنين الصادقين، الذين أخلصوا في إيمانهم، واستحقوا بذلك المثوبة عند الله تعالى، وهي المغفرة والأجر العظيم منه سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحجرات: ٣].

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢] كان أبو بكر لا يكلم رسول الله إلا كأخي السرار(٣)، أي: مصاحب السرّ من الكلام، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ الآية(٤). أي إنَّ الذين يَكُفُّون رفع أَصواتِهم عند رسول الله.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري (٢١/ ٣٣٩).
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٣٦٨).
(٣) أسباب نزول القرآن، للواحدي (٤٠٣).
(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ١٨٥).

فأصل الْغَضِّ: الْكَفُّ فِي لِين، ومنه غَضُّ الْبَصَرِ، وهو كَفُّهُ عَنِ النَّظَرِ[1]، والغض هنا مستعار لخفض الصوت والميل به إلى الإسرار.

والامتحان: الاختبار والتجربة، وهو افتعال من مَحَنَهُ إذا اختبره، وصيغة الافتعال فيه للمبالغة، كقولهم: اضطره إلى كذا.

واللام في قوله ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ لام العلة، والتقدير: امتحن قلوبهم لأجل التقوى، أي لتكون فيها التقوى، أي ليكونوا أتقياء[2].

إن هذا المنهج الذي تربى عليه الصدر الأول هو الذي ارتقى بهم إلى المكانة التي تبوَّءُوها في التعامل الإنساني؛ سواء مع رسول الله ﷺ، أو مع غيره، إنه المنهج الرباني الذي من اتبعه سار في درب الهداية والتوفيق.

٤) تأنيب الذين نادوا النبي ﷺ من وراء الحجرات:

وبعد نهي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن رفع الصوت والجهر به في حضرة النبي ﷺ، وثنائه على الذين يغضُّون أصواتهم في حضرته إجلالًا واحترامًا؛ قابل ذلك بتأنيب من خالَف هذا المنهج القويم والأدب الرفيع، ولم يعرف كيف يتأدب في خطابه مع النبي ﷺ. بل وصف الحق تبارك وتعالى هؤلاء بأنهم جاهلون لا يعقلون، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [الحجرات: ٤، ٥].

وسبب نزول هذه الآية الكريمة أن ناسًا أتوا النبي ﷺ فجعلوا ينادونه وهو في الحجرة: يا محمد يا محمد، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري (٢١/ ٣٤٣).
(٢) يُنظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ١٨٦).
(٣) يُنظر: أسباب نزول القرآن، للواحدي (٤٠٣) وما بعدها.

وبيَّن الحق تبارك وتعالى لهؤلاء النفر ما هو أوْلَى من تصرفهم هذا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، فإن هذا يكسبهم وقارًا بين أهل المدينة، ويستدعي لهم الإقبال من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ يخرج إليهم غير كاره لندائهم إياه، ورفع أصواتهم في مسجده فكان فيما فعلوه جلافة[1].

ومن ذلك كله يؤخذ أن هذه الآداب التي ينبغي أن يتأدب بها المسلم أمام المربي والقدوة للإنسانية جمعاء، فإنه كذلك ينبغي أيضًا أن يتأدب بها أمام المُربِّين والأساتذة والعلماء؛ فإن العلماء ورثة الأنبياء، فيجب احترامهم وإجلالهم، ويجب أن يُنزَل الناس منازلهم، فلا يكون الحديث معهم كالحديث بين الأقران والأصدقاء، فهذا هو المنهج القرآني في التعامل الإنساني، كما أنه هو منهج السلف الصالح، منذ زمن الصحابة رضوان الله عليهم[2].

❊ ❊ ❊

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ١٨٩).

(٢) يُنظر: سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية، للعمر (١١٢).

المبحث الثاني

منهج التعامل الإنساني

الإنسان مدني بطبعه، فقد جعل الله تعالى في فطرته ضرورة التعامل مع الآخر والاحتياج إليه، لكي تتكامل الحياة الإنسانية، ولذلك فإن الإنسان لا يستطيع العيش منفردًا، فلا بد أن يعيش في مجتمع، ومن خلاله يتعامل مع غيره في شتى أنواع مجالات الحياة، والمجتمعات الإنسانية تتنوع وتختلف في المعتقدات والأفكار، وطرق العيش، كتنوع الأعراق والألسن والألوان، ولا مفرَّ للإنسان عن التعامل مع هذه الأصناف المختلفة، وقد وضع القرآن الكريم المنهج القويم للتعامل الإنساني، بوضع الأسس والقواعد المؤطرة لذلك، وسنتناول من خلال هذا المبحث ما ورد في سورة الحجرات في هذا الإطار.

❊ ❊ ❊

المطلب الأول

منهج التعامل في ظِلال الوَحدة الإنسانية العامة

الرؤية القرآنية تجعل التنوع والتعدد سنة من سنن الله في هذا الكون، فالتعددية هي «القانون الإلهي، والسنة الإلهية الأزلية الأبدية في ميادين الكون المادي، والاجتماع الإنساني، وشؤون العمران وميادينه، وبهما تتميز عوالم الخلق المتعددة عن ذات الحق الواحدة»(١).

ومن ذلك تنوع الإنسانية إلى ذكر وأنثى، وشعوب وقبائل، يقول الله تعالى في هذه السورة الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣]؛ فقد أشار القرآن الكريم إلى ميادين حكمت فيها السنة الإلهية بالتنوع والتعدد في إطار الوَحدة، فمنها أن الله تعالى اقتضت حكمته أن يكون من مظاهر الوَحدة الإنسانية هو خلقهم من ذكر وأنثى، ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ أي: من آدم وحواء، أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم(٢). والمعنى: يا أيها الناس إنا خلقناكم من رجل وامرأة، فكل واحد منكم إنسان مولود من إنسانية، لا تفترقون من هذه الجهة، والاختلاف الحاصل بالشعوب والقبائل - وهو اختلاف حاصل بالجعل الإلهي - ليس لكرامة وفضيلة، وإنما هو لتتعارفوا، فيتم بذلك اجتماعكم.

تنوّع الإنسانية للتعارف والتعاون:

والقرآن الكريم إذ يقرر هذا التنوع والتعدد ويبين الحكمة من ذلك؛ فإنه يدعو

(١) هل الإسلام هو الحل، لعمارة (٥٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٣٨٥). والكشاف، للزمخشري (٤/ ٣٧٧).

إلى توظيف ذلك في إقامة علاقات التعارف بين بني الإنسان، وذلك مدعاة إلى التفاعل والتكامل، فمنطوق قوله تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ يجعل التعارف بين أبناء بني آدم من أسمى الأهداف للحياة الإنسانية، ذلك أن التعارف إذا تم على الوجه الذي ينشده الحق ويتطلبه الكمال الإنساني؛ فإنه يحقق معاني الحياة الكريمة، فيتم تبادل المنافع بين الشعوب، فتأتلف، وتشيع بين الناس معاني الإخاء والتعاون(١).

يقول العقاد: «فالتعدد في الأمم وسيلة للتعارف والتعاون، وليس بوسيلة للادعاء والتنابذ والتعصب للأجناس والتعالي بالعصبيات»(٢).

فالقرآن الكريم وضع الإنسان في موضعه الصحيح، حين جعل تقسيمه إلى ذكر وأنثى، وأنه ينتمي بشعوبه وقبائله إلى الأسرة الإنسانية التي لا تفاضل بين الإخوة فيها بغير العمل الصالح، وبغير التقوى.

مقياس التفاضل الإنساني:

إن القرآن الكريم حين أعلن المساواة الإنسانية في الآية السابقة؛ فإنه جعل مجالًا لتفاضلها عندما قال بعد ذلك في الآية ذاتها ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾. «والمراد بالأكرم: الأنفس والأشرف، والأتقى: الأفضل في التقوى»(٣)؛ ففتح بذلك مجال التنافس والتفاضل في القيم العليا التي يستطيع الإنسان أن يحققها ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]؛ أي الرغبة في التنافس إلى طاعة الله(٤).

قال ابن عاشور: «لأنهم لما تساووا في أصل الخلقة من أب واحد وأم واحدة،

(١) أهداف الإسلام في توجيه الإنسان، لرفاعي (٣٣٩).
(٢) المجموعة الكاملة، للعقاد (٧/ ٤٦).
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢١٨).
(٤) يُنظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني (٥٥٧).

كان الشأن أن لا يفضل بعضهم بعضًا إلا بالكمال النفساني، وهو الكمال الذي يرضاه الله لهم، والذي جعل التقوى وسيلته، ولذلك ناط التفاضل بالكرم بـ(عند الله) إذ لا اعتداد بكرم لا يعبأ الله به»[1].

وكما نلاحظ من هذا المعيار الذي أقره القرآن للتفاضل وسمح به في ظِلّ الإنسانية، فإن هذا المعيار يرتبط برباط اتصال الإنسان بخالقه، وليس له أي مرد إلى أصل الكيان الإنساني ومجال التكريم، «وفي هذا المعيار في التفاضل تبدو الصلة بالله هي الصلة الوحيدة التي تسمح بأن يتفاضل الناس على أساسها، فالتفاضل ليس مرده إلى الناس، بل مرده إلى الله عَزَّوَجَلَّ»[2].

فالتقوى الواردة في الآية والتي جعلها القرآن الكريم مجالًا للتفاضل هي كما قال عفيف طبارة: «فضيلة أراد بها القرآن إحسان الصلة ما بين الإنسان والخلق، وإحسان الصلة ما بين الإنسان وخالقه... والمراد أن يتقي الإنسان ما يغضب ربه، وما فيه ضرر لنفسه أو إضرار لغيره»[3].

❊ ❊ ❊

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢١٨).

(٢) أصول المجتمع الإسلامي، لجمال الدين محمد (١٠٩).

(٣) روح الدين الإسلامي، لطبارة (٢٨٣).

المطلب الثاني

منهج التعامل في ظِلال المجتمعات الإنسانية

حوت سورة الحجرات منهجًا أنموذجيًا في التعاملات في الحياة اليومية للمجتمعات الإنسانية، ذلك بأنها شملت عدة وصايا؛ تنوعت بين الأوامر والنواهي، والمتأمل في هذه الوصايا يجدها تنصب في تجنب أمراض نفسية لها ضرر بالمجتمعات الإنسانية، أراد القرآن الكريم من خلال هذه الوصايا التحذير من الآفات التي قد تصيب النفس البشرية وتؤثر في العلاقات الإنسانية، فـ«المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدي القرآن مجتمع له أدب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس، وهي من كرامة المجموع»[(١)].

أولًا: الأوامر:

الأوامر الإلهية حكمها الوجوب ما لم تصرفه قرينة كما هو مقرر عند العلماء، والقرآن الكريم أنزله الله ليس للتلاوة فحسب؛ وإنما للتطبيق والعمل، لأنه منهج حياة للإنسانية، وقد ورد في سورة الحجرات أوامر تُعد من الضروريات، لأنها أساس التعامل والتعايش الإنساني، وبفقدها لا مجال للعيش والتعايش، وهذه الأوامر قواعد مهمة في حياة المجتمعات التي تنشد الحياة الآمنة المستقرة، التي تسودها المحبة والألفة والمودة، ويغمرها الإخاء والصفاء والنقاء، وهذه القواعد هي:

١- التبيّن في الأخبار:

قبول الأخبار الكاذبة دون تبيّن من أمرها من الأسباب الرئيسة في تفرق الناس

(١) في ظلال القرآن، لقطب (٦/ ٣٣٤٤).

وتباغضهم؛ لذا جاء التوجيه القرآني بالمنهج الصحيح حين تلقي أي خبر من الأخبار، خاصة الأخبار مجهولة المصدر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات: ٦].

ذكر الواحدي أن هذه الآية الكريمة نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلى بني المصطلق ليجمع الصدقات، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع القوم تلقوه تعظيمًا لله تعالى ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فحدّثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم، فرجع من الطريق إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم، وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وهمّ أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله تعالى، فبدا له في الرجوع، فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ من غضب الله وغضب رسوله. فأنزل الله تعالى هذه الآية[(١)].

يقول الفخر الرازي معقبًا على أسباب نزول هذه الآية الكريمة: «بل نقول هو نزل عامًا لبيان التثبت، وترك الاعتماد على قول الفاسق»[(٢)]. وهو يقصد بذلك أن سبب نزول هذه الآية عام في خبر الفاسق، وليس إطلاق الفاسق خاصًا بالوليد؛ لأنه اجتهد فأخطأ، ولا يُسمى بسبب ذلك فاسقًا على الحقيقة، فأكثر المفسرين على أن الوليد كان ثقة عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فصار فاسقًا بكذبه، أي كاذبًا، ونقل القرطبي عن ابن زيد ومقاتل وسهل بن عبد الله: الفاسق الكاذب[(٣)]،

---

(١) أسباب نزول القرآن، للواحدي (٤٠٧).

(٢) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٨/ ٩٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/ ٢٨٣).

والظاهر أنه سمي فاسقًا تنفيرًا وزجرًا عن الاستعجال في الأمر من غير تثبت، فهو متأول ومجتهد، وليس فاسقًا على الحقيقة(١).

وعلى العموم فإن مدلول الآية عام، وهو يتضمن منهج التمحيص والتثبت من خبر الفاسق، فأما الصالح فيؤخذ بخبره؛ فهذا هو الأصل في الجماعة المؤمنة، ولا بد من التبيّن والتثبت، وفي خبر الفاسق أوكد، والأخذ بخبر الصالح جزء من منهج التثبت، لأنه أحد مصادره(٢).

وقد كثر كلام العلماء حول قصة نزول هذه الآية الكريمة والوليد بن عقبة وعدالة المُخبر والشاهد بما لا مجال للخوض في ذلك، فالذي يعنينا هو المنهج الذي ينبغي أن نتبعه في تلقي الأخبار والتعامل معها. فإن الطبيعة البشرية دائمًا في عجل من أمرها ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ﴾ [الأنبياء: ٣٧] ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]، فالنفس البشرية تتلقى الأخبار الجديدة بالقبول والتأثر، وبمجرد سماع الخبر ينطلق الفكر إلى ردة فعل معاكسة، دون وعي أو تفكر في العواقب، وللشيطان نصيب في حث الإنسان على ذلك، فعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ**»(٣).

والخطاب القرآني هنا بهذه الصيغة يومئ إلى أمر مهم جدًّا، وهو ضرورة التبيّن والتثبت من الخبر قبل اتخاذ القرار؛ لأن القرار يجب أن يُبنى على حقائق، وليس على شيء لم يتبيّن صوابه من خطئه؛ ولذلك جاء الخطاب القرآني ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾، ولم يقل: إن جاءكم خبر أو جاءكم مُخبر بنبأ، ولوصف المُخبر بالفسق دلالة واضحة؛ وهي أن الذي يتعمد حمل الخبر المغلوط دون تفكر في

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي (٢٦/ ٢٢٧).
(٢) التفسير التربوي للقرآن الكريم، للباز (٣/ ٣٢٠).
(٣) سنن البيهقي الكبرى، للبيهقي، رقم الحديث (٢٠٠٥٧) باب التثبت في الحكم (١٠/ ١٠٤).

عاقبة ما سيؤول إليه الأمر هو فاسق؛ لأنه بمثابة من أطلق قنبلة موقوتة، قد تنفجر في أي لحظة، ويكون أثرها المادي والمعنوي جسيمًا. فكم من حروب أوقدت بسبب الأخبار الكاذبة، كان أثرها سفك الدماء وتشريد الشعوب، وإثارة الفتن والبغضاء والكراهية، وكم من أرحام قُطعت بسبب وشاية مغرضة كاذبة.

وفي القراءتين ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ و﴿فتثبَّتوا﴾ تأكيد لمعنى التأكد والاحتياط في قبول الأخبار؛ فقد قرأ الجمهور: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ بفوقية فموحدة فتحتية فنون، من البيان. وقرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿فتثبَّتوا﴾ بفوقية فمثلثة فموحدة ففوقية، من الثبت[1].

* **التبيين:** تطلُّب البيان وهو ظهور الأمر.
* **التثبت:** التحري وتطلُّب الثبات وهو الصدق.

ومآل القراءتين واحد وإن اختلف معناهما، وهو الأمر بالتأني وعدم العجلة حتى تظهر الحقيقة فيما أنبأ به الفاسق[2].

فتبيَّنُوا كراهة أن تصيبوا قومًا بخطأ فتصبحوا نادمين على ما فعلتم. فلو أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمل بقول الوليد بن عقبة، لغزا بني المصطلق، وسفك الدماء، وأخذ الأموال بغير حق، فالله يرشد عباده إلى هذا الأدب، ويحذرهم من العمل بالخبر قبل الكشف عنه والتثبت منه[3].

يقول صاحب الظِّلال: «ويُخصّص الفاسق لأنه مظنة الكذب، وحتى لا يشيع

(١) القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، لشرف (٥١٦)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/ ٢٨٣).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٧/ ٤١١).

(٣) التفسير الواضح، للحجازي (٣/ ٥٠٣).

الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء، فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها، فالأصل في الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقتها، وأن تكون أنباؤهم مصدقة مأخوذًا بها، فأما الفاسق فهو موضع الشك حتى يثبت خبره، وبذلك يستقيم أمر الجماعة وسطًا بين الأخذ والرفض لما يصل إليها من أنباء، ولا تعجل الجماعة في تصرف بناءً على خبر فاسق، فتصيب قومًا بظلم عن جهالة وتسرع، فتندم على ارتكابها ما يغضب الله، ويجانب الحق والعدل في اندفاع»[(١)].

والتعبير بكلمة (إنْ) في قوله ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾ التي هي للشك؛ للإشارة إلى أن الغالب في المؤمن أن يكون نبيهًا يقظًا، يستطيع أن يفهم ويدرك المغازي، وما تؤول إليه الأمور، وما يترتب عليها، لذا لا يأتيهم كاذب يكذب عليه، وإن حصل فلا يكون إلا نادرًا[(٢)].

«إن من يتأمل في واقع الناس اليوم، وينظر في الكم الهائل من الأخبار التي نسمعها في كل يوم، ويرى الاختلاف والتباين بين مصادر هذه الأخبار، يدرك عظمة هذا الدين، وسمو هذا المنهج الذي دعا إليه الإسلام، وأمر به القرآن، وحفظته السنة، وحفظت به السنة»[(٣)].

ولذلك يقول سيد قطب عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]: «التثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها، هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق»[(٤)].

---

(١) في ظلال القرآن، لقطب (٦/ ٣٣٤١).

(٢) تفسير آيات الأحكام، للسايس، وآخرون (٤/ ٤٦٠).

(٣) سورة الأحزاب دراسة تحليلية وموضوعية، للعمر (١٧٦).

(٤) في ظلال القرآن، لقطب (٤/ ٢٢٢٧).

إن هذا المنهج الرباني المحكم تظهر أهميته في واقعنا المعاصر اليوم، مع انتشار وسائل التواصل، التي تحمل الكثير من الأخبار المتنوعة ذات المصادر المختلفة؛ وكمثال بسيط ما يتناقله الناس على برنامج (الواتساب) من رسائل – الله أعلم بصحتها – فيعمد بعض الناس بمجرد حصوله على خبر؛ ما يلبث أن ينشره في المجموعات أو للأفراد، دون تثبت من صحته، ثم يتضح أن الخبر كاذب.

إن مثل هذا العمل له آثاره السلبية في أوساط المجتمعات الإنسانية، فقد يترتب عليه أحقاد وعداوات على مستوى المجتمعات والأفراد، فحري بالإنسان أن يتمسك بالمنهج القرآني قبل أن ينقل أي خبر كان، خاصة ونحن نملك – في عالمنا اليوم – إمكانات ووسائل التثبت السريع التي تمكننا من الوصول إلى مصادر الأخبار بسرعة فائقة.

■ **٢ – الصلح بين المتخاصمين:**

قد يترتب على عدم التثبت من الأخبار الكاذبة اتخاذ مواقف متضادة ينتج عنها خصام وشجار وقتال، وقد يكون ذلك ليس قصدًا، ولكن سوء فهم يحدث للناس، سواء على المستوى الفردي أو الطائفي، وقد يدخل الشيطان بين الناس فيُحدث بينهم الفرقة والخصام، والتنازع والاقتتال، وقد تأخذ الناس الحمية الجاهلية فيتعصبون لطائفتهم دون التحقق من سبب النزاع والشقاق، وهذا حاصل كثيرًا في المجتمعات الإنسانية، لذا أتبع القرآن الكريم هذا المنهج الكريم في التعامل في مثل هذه المواقف، فلو حصل اقتتال بين طائفتين من المؤمنين، فإنه يتعين على الآخرين أن يقوموا بواجب الصلح، وإن أبت إحدى الطائفتين وبغت على الأخرى وتعذر الصلح؛ فيجب الوقوف بجانب الطائفة المبغي عليها، من باب نصرة المظلوم وكف الظالم عن الظلم، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ [الحجرات: ٩].

وقد روى أنس بن مالك - رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ كما في الصحيحين - في سبب نزول هذه الآية الكريمة قال: قيل للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وركب حمارًا، فانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك. فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أطيب ريحًا منك. فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال[١].

وانطلاقًا من قاعدة: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»؛ فإن إصلاح ذات البين في أي قضية كانت مطلوب، وهو منهج إسلامي رصين، قرَّره الشرع الحنيف، وحث عليه، بل جعل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ درجته أعلى من درجة كثير من الأعمال التعبدية، فعن أبي الدَّرداء رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ**». قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «**إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ**»[٢].

والصلح في الأساس كما هو في لغة العرب اسم من المصالحة، وهي المسالمة بعد المنازعة[٣]؛ لذلك فإن «إصلاح ذاتِ البين لا يأتي إلا بالخير، ففيه تأليفٌ بين القلوب وتقويةٌ للروابط ودفعٌ للشحناء، وبه تسكن النفوس، ويزول الخلاف

(١) صحيح البخاري، للبخاري، حديث رقم (٢٥٤٥) باب: ما جاء في الإصلاح بين الناس (٢/ ٩٥٨).
وصحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، رقم الحديث (٤٧٦٢) (٥/ ١٨٣).
(٢) صحيح ابن حبان، لابن حبان، كتاب الصلح، رقم الحديث (٥٠٩٢) (١١/ ٤٨٩).
(٣) يُنظر: كتاب التعريفات، للجرجاني (١٣٤).

وتذهَب الفرقة، لذا دعانا الله تعالى إليه وأمرنا به»[1].

والتعبير بـ (إنْ) في قوله ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: ٩] فيه إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقع قتال بين المسلمين، وإن وقع فإنه نادر[2]، وذكر القرآن الكريم الطائفة، وهي الجماعة من الناس، الذين يجمعهم رأي أو مذهب يمتازون به عن سواهم، وقد تُطلق على الواحد فصاعدًا[3].

وإن نظرةً إلى واقعنا المعاصر شاهد على أحوال المسلمين اليوم، من اقتتال وتفرق، فما أحوجنا إلى أن نتأمل ونتدبر ما يوجه إليه كتابنا الماثل بين أيدينا، ويدعونا إليه، ونحن اليوم في أمس الحاجة إلى تطبيق هذا المنهج القرآني إذا أردنا الفلاح والنجاح في الحال والمآل، إننا نعيش زمن التفرق والانقسام، والتكاره والتباغض، بل الاقتتال البغيض، الذي ينطلق من فكر الطائفية والعرقية، فيا أمة الإسلام أفيقي واستفيقي من هذه الغفلة، فسبيل خلاصنا هو المنهج القرآني، الذي أنزله رب العزة والجلال لنطبقه في حياتنا.

٣- العدل والقسط:

وتبعًا لمنهج الصلح بين المتخاصمين السابق ذكره فإن المنهج القرآني يؤكد أن هذا الصلح يجب أن يكون عادلًا لكلا الطرفين. يقول الله تعالى في الآية السابقة: ﴿... فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد أمره بالإصلاح بين الطائفتين المتقاتلتين بالقسط، وهو العدل الذي لا تقوم المجتمعات ولا تستقر إلا به، والعدل هو: وضع الشيء

(١) الوصايا التسع في سورة الحجرات في التعامل مع الناس، لزغرب (٢٦).
(٢) تفسير آيات الأحكام، للسايس (٤/ ٤٦٦).
(٣) إعراب القرآن الكريم وبيانه، للدرويش (٧/ ٢٥١).

في موضعه الصحيح؛ بإعطاء كل ذي حق حقه، من غير تفرقة، وعلى قدم المساواة.

وأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالعدل مطلقًا في جميع الأحوال وفي جميع الأمور؛ فهو مطلوب من الحاكم مع رعيته، ومن الرعية مع الحاكم، مع الأب تجاه أبنائه، ومن الرجل مع زوجاته، ومن المعلم مع طلابه، وهكذا، والعدل في الإسلام عدل مطلق كما ذكرنا، حتى إنه مطلوب مع العدو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨﴾ [المائدة: ٨]، بل إنه مطلوب من الإنسان مع نفسه.

ولم يكتف المنهج القرآني بالأمر بالعدل فحسب؛ بل أكد على قضية القسط، وهذا تأكيد على أهمية العدل بين الفئات المتنازعة، فمعنى ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] أي: اعدلوا إن الله يحب العادلين، فـ ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ﴾ من «أَقْسَطَ» الرباعيّ، بخلاف «قَسَطَ» الثلاثيّ الذي معناه الجَوْر، يُقال: قَسَط الرجل؛ إذا جار، وأقْسَط؛ إذا عدَل.

قال ابن منظور: المُقسِط: هو العادل. يقال: أقسَط يُقسِط فهو مُقسِط إذا عدل، وقَسَطَ يُقسِط، فهو قاسط إذا جار[(١)].

- **فأصل كلمة القِسط تأتي بمعنيين[(٢)]:**

الأول: بمعني العدل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] فهي تعني في الآية اعدلوا إن الله يحب العادلين[(٣)]، وبهذا المعنى

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة (قسط) (١١/ ١٥٩).

(٢) يُنظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، للدامغاني (٣٨٥).

(٣) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/ ٢٨٧).

يكون أصل الكلمة مأخوذًا من الفعل الرباعي أقسط واسم الفاعل منه مقسط.

الثاني: بمعنى الجور والميل عن الحق، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ١٥﴾ [الجن: ١٥] أي الجائرون الظالمون المائلون عن الحق. وعلى هذا فهي مأخوذة من الفعل الثلاثي «قَسَط» واسم الفاعل منه «قاسِط» أي بمعنى ظالِم وجائِر.

ولذلك قال الفخر الرازي: «الإقساط إزالة القسط وهو الجور والقاسط هو الجائر»[(١)].

كما أن المنهج القرآني في هذا الجانب منهج مُحكم ودقيق، ذلك أن ذكر العدل والقسط في الإصلاح بعد فيْئَة الفِئَة الباغية، فيه إشارة إلى أن الطائفة المغلوبة مظنة أن تتعرض إلى ظلم، وكأن المنطوق القرآني يقول: لا يحملنكم قهركم إياهم على ظلمهم[(٢)].

٤- اجتناب الظن السيئ:

سوء الظن بالآخرين مرض نفسي، يُبتلى به بعض بني الإنسان، وهو عادة سيئة، نهى عنها القرآن الكريم، وأرشد إلى المنهج الصحيح عند الابتلاء بهذه الظاهرة السيئة، والظن في لغة العرب من ظنَّ الشَّيء ظنًّا؛ علمه بغير يقين، وقد تأتي بمعنى اليقين.

الظِّنة: التهمة[(٣)].

والتحذير هنا من الظن السيئ، الذي هو غير متيقن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٨/ ١٠٦).
(٢) تفسير آيات الأحكام، للسايس (٤/ ٤٦٩).
(٣) يُنظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (ظنَّ) (٨/ ٢٧٢،٢٧١).

﴿مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات:١٢]، ولذلك نلحظ هذا الأسلوب الرائع من القرآن الكريم في نهيه عن هذا الأمر؛ فإنه لم يقل: اجتنبوا الظن، وإنما قال: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾؛ لأن الظن قد يكون حسنًا وقد يكون سيئًا، لكن الغالب بين الناس هو الظن السيئ.

والسرّ في ذلك كما يقول الدرويش: «للإيذان بأن في الظنون ما يجب أن يُجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين؛ لئلا يجترئ أحد على ظن إلا بعد تأمل وبُعد نظر وتمحيص واستشعار للتقوى»(١).

والظن السيئ هو أن يسيء الإنسان بغيره، يقول الماوردي: «سوء الظن هو عدم الثقة بمن هو لها أهل»(٢).

وقال ابن القيم: «سوء الظن: هو امتلاء القلب بالظنون السيئة بالناس؛ حتى يطفح على اللسان والجوارح»(٣).

وقال ابن كثير: «سوء الظن هو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله»(٤).

ولذلك اعتبر النبي ﷺ الظن أكذب الحديث، حيث قال فيما رواه أبو هريرة: «**إياكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث**»(٥).

وبما أن الظن قد يحدث في نفس الإنسان؛ فقد كان المنهج النبوي تجنيب

---

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه، للدرويش (٧/ ٢٥٨).

(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي (٦/ ١٨٦).

(٣) الروح، لابن قيّم الجوزية (٢٣٨) بتصرف.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٣٧٧) بتصرف.

(٥) صحيح البخاري، للبخاري، رقم الحديث (٥٧١٧) باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر (٥/ ٢٢٥٣). وصحيح مسلم، لمسلم، رقم الحديث (٦٧٠١)، باب: تحريم الظن والتجسس (٨/ ١٠).

أصحابه أن يقعوا في ذلك، مخافة أن يقعوا في سوء الظن الذي يؤدي بهم إلى المعصية، وهذا من شفقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه، فعن صفية بنت حُيَيّ قالت: «**كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معتكفًا، فأتيته أزوره ليلًا، فحدَّثتُه، ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسرعا، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: على رسلكما، إنها صفية بنت حُيَيّ. فقالا: سبحان الله يا رسول الله! قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًّا أو قال: شيئًا**»[1].

قال النووي: «الحديث فيه فوائد: منها بيان كمال شفقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أُمَّته، ومراعاته لمصالحهم، وصيانة قلوبهم وجوارحهم، وكان بالمؤمنين رحيمًا؛ فخاف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُلقي الشيطان في قلوبهما فيهلكا؛ فإنَّ ظنَّ السوء بالأنبياء كُفْر بالإجماع، والكبائر غير جائزة عليهم، وفيه أنَّ من ظنَّ شيئًا من نحو هذا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَر. وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان، وطلب السلامة، والاعتذار بالأعذار الصحيحة، وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق، وقد يخفى أن يبين حاله ليدفع ظنَّ السوء»[2].

إن الإسلام بهذا المنهج يريد أن يتحلى الإنسان بنقاء القلب وصفاء الروح؛ فإن الذي يتعود أن يسيء الظن بالآخرين يقع في كثير من الأمور المحذورة: منها عدم الثقة في الآخرين، مما يفقده جدية التعامل معهم، بل يجد نفورًا منهم في التعامل معه، هذا بالإضافة إلى ما يُحدثه سوء الظن من عدم تعاون بين أفراد المجتمع عندما يفقد بعضهم الثقة في بعض.

(١) صحيح البخاري، للبخاري، رقم الحديث (٣١٠٧) باب: صفة إبليس وجنوده (٣/ ١١٩٥). وصحيح مسلم، لمسلم، رقم الحديث (٥٨٠٨) باب: بيان أنه يستحب ... (٧/ ٨).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (١٤/ ١٥٦).

ثانيًا: النواهي:

كما هو الحال في وجوب تنفيذ أوامر الله تعالى، فإن الحال كذلك في وجوب امتثال النواهي التي نهى الله عنها، ولو التزم المسلمون بهذا الأمر لكانت المجتمعات الإنسانية طاهرة من الآفات الاجتماعية الخطيرة التي تئن الأمم تحت وطأتها، لما يشهده العالم من تفتت وضياع بسبب وقوعهم فيما نهى الله عنه وحذَّرهم منه، وهذه القواعد هي:

١- عدم السخرية من الآخر:

السخرية: الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء(١).

وقد نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن السخرية بالآخرين؛ لما له من أثر على العلاقات الإنسانية؛ أفرادًا وجماعات، فالساخر من الآخرين والمتعالي عليهم بعلمه أو ماله أو جاهه؛ أو غيرها من الأمور المادية يرى من نفسه أنه فوق الآخرين، ونسي أن من يسخر منهم قد يفوقونه في جوانب أخرى تفوق ما عنده، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات: ١١].

روي عن أنس أنه قال: نزلت في نساء النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عيَّرن أم سلمة بالقِصَرِ، وقال عكرمة عن ابن عباس إن صفية بنت حييّ بن أخطب أتت رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فقالت: يا رسول الله؛ إن النساء يعيرنني، ويقلن: يا يهودية بنت يهوديين، فقال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**هلا قلت: إن أبي هارون، وإن عمي**

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي (٣/ ١٣١).

موسى، وإن زوجي محمد»، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

إن السخرية بالآخرين هو نيل من كرامتهم، واستخفاف بإنسانيتهم، وخوض في أعراضهم، والإنسان مخلوق مُكرَّم عند الله تعالى، فهو الذي خلَقه وسوَّاه، وكرَّمه، وعندما يسخر إنسان من إنسان؛ فإنه يستخفّ بكل هذه الموازين والخصائص التي حظي بها الإنسان من خالقه جَلَّجَلَالُهُ، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»[2].

فالرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في هذا الحديث الشريف يُحذِّر من تسوِّل له نفسه التعدي على حرمات الآخرين، ولذلك قام إجماع المسلمين على تحريم وتجريم هذا الأمر.

قال ابن حجر: «وقد قام الإجماع على تحريم ذلك»[3].

أي: الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين بخَلقهم أو خُلقهم؛ لما يُحدثه من أثر سيئ تجاه المجتمعات، «وهكذا ينبغي لكل مجتمع يريد السلامة والرقي والتقدم أن يكون حريصًا على التآخي والتعاون بعيدًا عن كل ما يؤثر سلبًا على المجتمع، ومن أشدّ ذلك وأخطرِه مرضُ الاستهزاء والسخرية، فهو يثير الأحقاد، ويدعو للمخْيلةِ والاحتقار، ويسبب الفرقة والاختلاف، ويورث العداوة والبغضاء، ويوهن بناء المجتمع القوي المتماسك. لقد نهى الله عن الاستهزاء والسخرية لأنها رذيلة من أخس رذائل البشر، وصفةٌ من أقبح صفات هذا الخلق الذميم،

(١) أسباب نزول القرآن، للواحدي (٩٤-٩٥).

(٢) صحيح مسلم، لمسلم، رقم الحديث (٦٧٠٦) باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره (٨/ ١٠).

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر، ج٢، ص٣٣.

يدل على خسة صاحبه ولؤم طبعه وفساد نشأته وانحطاط مستواه. والاستهزاء قد يكون بنظرة أو كلمة أو إشارة أو محاكاة أو غمز أو همز أو لمز، ومرد ذلك كله إلى القلب، فإذا انعقد على شيء من ذلك وقع المحذور»[1].

■ **٢- عدم لمز الآخرين:**

اللَّمْزُ: الطعن والضرب باللسان.[2]

وأعظم اللمز إذا كان ذلك بسبب خِلقة خُلق عليها، أو أمر لا حيلة للمرء فيه: كالفقر، والدمامة، والقصر، فهذا من الله، وعيب الإنسان بذلك سوء أدب مع الله، واعتراض على خلقه وقدره.

ولا ينشأ اللمز إلا من مرض الاحتقار، فإذا احتقر المسلم أخاه لمَزه، ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه**»[3].

والمنهج القرآني لم يكتف بتحريم اللمز فحسب؛ بل جعل لمز الإنسان لأخيه الإنسان لمزًا لنفسه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]؛ لأن لكل فرد في المجتمع كرامته التي لا تمسّ، وهي من كرامة المجموع، ولمز أي فرد هو لمز للنفس، لأن الجماعة كلها وَحدة واحدة، فكرامتها واحدة[4].

---

(١) الوصايا التسع في سورة الحجرات في التعامل مع الناس، لزغرب (٤٧).

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه، للدرويش (٧/ ٢٥٢).

(٣) صحيح مسلم، لمسلم، رقم الحديث (٦٧٠٦) باب: تحريم ظلم المسلم... (٨/ ١٠).

(٤) في ظلال القرآن، لقطب (٦/ ٢٢٤٤).

«فالقرآن الكريم يؤسس لقواعد اللياقة الاجتماعية والأدب النفسي للتعامل في المجتمع الإنساني، فالمجتمع الفاضل من وجهة النظر القرآنية لا بد وأن يقوم على أسس من الأدبيات الذوقية التي ينبغي أن تحكم العلاقات السائدة بين أبنائه، إنه المجتمع الذي يترفَّع أبناؤه عن الهمز واللمز والسخرية، ويكون الأدب هو الخُلُق الذي يحكم تعاملهم، فيما بينهم»[١].

٣- عدم التنابز بالألقاب:

التَّنابُزُ: التَّدَاعِي بالأَلقاب، وهو يكثر فيما كان ذمًّا.

وتَنابَزوا بالألقاب: أي لقَّبَ بعضهم بعضًا[٢].

وقد نهى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن ذلك في هذه السورة الكريمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحجرات: ١١].

والألقاب جمع لقب، وهو اسم غير الذي سمي به الإنسان، والمراد هنا: لقب السُّوء[٣]، وهو منافٍ للاحترام المتبادل بين الإنسان وأخيه الإنسان، وتعديًا على الحقوق المتبادلة بينهما، فمن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه ويزري به، ومن أدب المؤمن ألا يؤذي أخاه بمثل هذا[٤].

إن من طبع الإنسان أنه يكره إطلاق لقب قبيح عليه، ولكن قد يُطلق عليه اللقب في موقف معيَّن أو بدون قصد، فيُصبح معروفًا بذلك اللقب، وإذا كان هذا

(١) أدب المعاملة واثره في بناء العلاقات الإنسانية من منظور قرآني، لعودة (٣٢٠).
(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة (نبز)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، مادة (نبز) (٣/ ٨٩٧).
(٣) فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٩١).
(٤) في ظلال القرآن، لقطب (٦/ ٣٣٤٤).

اللقب معيبًا ولا يرتضيه الإنسان فلا يجوز مناداته به؛ لأنه محل سخرية واستهزاء به؛ لذا حرّمه الإسلام ونهى عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، عن أبي جبير بن الضحاك قال: قدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعا أحدًا منهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله، إنه يغضب من هذا، فنزلت[1].

ومن الطبيعي أن يغضب الإنسان من مناداته بلقب سيئ لا يرتضيه ولا يستسيغه، لما فيه من منقصة وتنقص.

فقوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لا تتداعوا بالألقاب، وهي التي يسوء الشخص سماعها[2].

قال السعدي في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ «أي: لا يعيِّر أحدكم أخاه، ويُلقِّبه بلقب ذمٍّ يكره أن يُطلق عليه»[3]. وقد توعَّد الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة أخرى - من يتصف بهذه الصفة الذميمة (أي صفة اللمز)، قال سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة: ١] وكلمة «ويل» تحمل الوعيد، والوبال، وشدّة العذاب لكل من همَزَ ولمَزَ غيره بفعله أو قوله.

٤- عدم التجسس:

التجسس: البحث عن العورات والمعايب، وكشف ما ستره الناس[4]. وهو مأخوذ من الجَسِّ، وهو من جَسِّ الخبر، ومعناه: بحث عنه وفحص، والتَّجَسُّسُ التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشرِّ، والجاسُوسُ: العين يَتَجَسَّسُ

(١) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي (١٨٢).
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٣٧٦).
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (١/ ٨٠١).
(٤) التفسير المنير، للزحيلي (٢٦/ ٢٤٧).

الأخبار ثم يأتي بها[1]؛ لذلك نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن هذا الأمر السلبي، الذي يتعارض مع الثقة في التعامل الإنساني، ويؤدي إلى التباغض والتكاره، وقد جاء النهي عنه صريحًا في هذه السورة الكريمة: ﴿إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي: ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره يبتغي بذلك الظهور على عيوبه[2].

وقد نهى عنه أيضًا رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث قال في الحديث الذي رواه أبو هريرة: «**إيَّاكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث، ولا تحسَّسُوا، ولا تجسَّسُوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»[3].

فهذه أمراض إن تفشّت في المجتمع فكّكت أوصاله، وأفسدت أركانه، ولم تعُد هناك ثقة بين بني الإنسان بعضهم في بعض، فعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم»[4].

يقول المناوي: «(إن الأمير إذا ابتغى الريبة) أي: طلب الريبة، أي: التهمة في الناس بنية فضائحهم، أفسدهم وما أمهلهم، وجاهرهم بسوء الظن فيها، فيؤديهم ذلك إلى ارتكاب ما ظنَّ بهم ورموا به ففسدوا. ومقصود الحديث: حثُّ الإمام على التغافل، وعدم تتبع العورات، فإنَّه بذلك يقوم النظام، ويحصل الانتظام، والإنسان قلَّ ما يسلم من عيبه، فلو عاملهم بكلِّ ما قالوه أو فعلوه اشتدت عليهم

(١) يُنظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (جس) (٢/ ٢٨٣). وتاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، مادة (جس) (١٦/ ٤٩٩). وتهذيب اللغة، للأزهري، مادة (جس) (١٠/ ٢٤٢).

(٢) تفسير المراغي، للمراغي (٩/ ٢٥١).

(٣) صحيح البخاري، للبخاري، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر (٥/ ٢٢٥٣). وصحيح مسلم، لمسلم، رقم الحديث (٦٧٠١)، باب: تحريم الظن والتجسس (٨/ ١٠).

(٤) سنن أبي داود، لأبي داود، رقم الحديث (٤٨٨٩)، باب في النهي عن التجسس،(٤/ ٢٧٢)، والمستدرك على الصحيحين، للحاكم، رقم الحديث (٨١٣٧)، كتاب الحدود (٤/ ٤١٩).

الأوجاع، واتسع المجال، بل يستر عيوبهم، ويتغافل، ويصفح، ولا يتبع عوراتهم، ولا يتجسس عليهم»[1].

إننا في عصر التقنية الحديثة امتلكنا وسائل متقدمة ومُيسَّرة، يستطيع بها الإنسان التجسّس بكل سهولة ويسر، فليحذر الإنسان من أن تغُرَّه هذه الوسائل، فيعمد إلى استخدامها في التجسس على الآخرين دون تفكر في عواقبها ونتائجها.

٥- النهي عن الغيبة:

من أكثر الأمراض الاجتماعية شيوعًا في الأوساط الإنسانية هي الغيبة.

والغِيبة: الوَقيعة في النَّاس؛ لأنَّها لا تقال إلا في غَيْبَة، يقال: اغتابه اغتيابًا إذا وقع فيه وذكره بما يكره من العيوب، والاسم الغيبة، وهي ذكر العيب بظهر الغيب[2].

وقد بيَّنها رسولنا الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**». **قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ:** «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**». **قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ:** «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»[3].

قال النووي: فأما الغيبة فهي ذكرُك الإنسانَ بما فيه مما يكره، سواء كان في بدنه أو دينه أو دنياه، أو نفسه أو خَلقه أو خُلقه، أو ماله أو ولده أو والده، أو زوجه أو خادمه أو مملوكه، أو عمامته أو ثوبه، أو مشيته وحركته وبشاشته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته بلفظك أو كتابك، أو رمزتَ أو أشرتَ إليه بعينك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك. أما البدن فكقولك: أعمى أعرج أعمش أقرع، قصير

---

(١) فيض القدير، للمناوي (٢/ ٣٢٣).

(٢) يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، مادة (غيب) (٣/ ٥٠٠، ٥٠١).

(٣) صحيح مسلم، لمسلم، رقم الحديث (٦٧٥٨) باب: تحريم الغيبة (٨/ ٢١).

طويل أسود أصفر.

وأما الدِّيْنُ فكقولك: فاسق سارق خائن، ظالم متهاون بالصلاة، ليس بارًّا بوالده، لا يضعُ الزكاة مواضعَها، لا يجتنبُ الغيبة.

وأما الدنيا: فقليلُ الأدب، يتهاونُ بالناس، لا يرى لأحد عليه حقًا، كثيرُ الكلام، كثيرُ الأكل أو النوم، ينامُ في غير وقته، يجلسُ في غير موضعه، وأما المتعلِّق بوالده فكقوله: أبوه فاسق، أو هندي أو نبطي أو زنجي، نجار حداد.

وأما الخُلُق فكقوله: سيئ الخلق، متكبّر مُرَاءٍ، عجول جبَّار، عاجز ضعيفُ القلب، مُتهوِّر عبوس، خليع، ونحوه.

وأما الثوب: فواسع الكمّ، طويل الذيل، وَسِخُ الثوب، ونحو ذلك، ويُقاس الباقي بما ذكرناه. وضابطُه: ذكرُه بما يكره[1].

وما أكثر ما تتداول هذه الألفاظ في أوساط المجتمعات، فلا تُفقد في التجمعات اليومية، بل أصبحت وكأنها عادة من العادات، يسيرة على الألسن.

لذلك كان منهج القرآن الكريم في النهي عن هذه الآفة الخطيرة بأسلوب تمثيلي يجعل الإنسان العاقل يبتعد عنها كل البعد، والتركيز على هذا الأمر بهذه الطريقة إنما هو لتفشيها في المجتمعات تفشيًا ملحوظًا، ولسهولتها على المغتاب وتلذذه بها في المجالس، هذا من ناحية. كما أن لها نتائج وخيمة وضرر بالمجتمع. قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢] وقد أتبع القرآن الكريم النهي عن الغيبة بمشهد تمثيلي تأباه الفطرة الإنسانية السليمة وتشمئزّ منه؛ فقد شبّه المغتاب بالإنسان الذي يأكل

(١) الأذكار النووية، للنووي (٣٣٦) بتصرف.

لحم أخيه وهو ميِّت، ووجه الشبه أن الميِّت لا يعلم بأكل لحمه، كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه.

وقال ابن عباس: إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة؛ لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس.

وقال قتادة: كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا؛ كذلك أن يمتنع من غيبته حيًا[١].

ونقل القاسمي عن ابن الأثير في (المثل السائر) في بحث الكناية: «فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾ فإنه كنى عن الغيبة بأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله ميتًا، ثم جعل ما هو الغاية من الكراهة موصولًا بالمحبة.

فهذه أربع دلالات واقعة على ما قصدت له، مطابقة للمعنى الذي وردت من أجله؛ فأما جعل الغيبة كأكل لحم الإنسان لحم إنسان آخر مثله فشديد المناسبة جدًا، لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم، وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه؛ لأن أكل اللحم تمزيق على الحقيقة.

وأما جعله كلحم الأخ فلما في الغيبة من الكراهة؛ لأن العقل والشرع مجتمعان على استكراهها، آمران بتركها، والبعد عنها، ولما كانت كذلك جُعلت بمنزلة لحم الأخ في كراهته، ومن المعلوم أن لحم الإنسان مستكره عند إنسان آخر، إلا أنه لا يكون مثل كراهة لحم أخيه، فهذا القول مبالغة في استكراه الغيبة.

وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولًا بالمحبة، فلما جُبلت عليه

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦/ ٣٠٣، ٣٠٤).

النفوس من الميل إلى الغيبة والشهوة لها مع العلم بقبحها، فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكناية تجدها من أشد الكنايات شبهًا، لأنك إذا نظرت إلى كل واحدة من تلك الدلالات الأربع التي أشرنا إليها وجدتها مناسبة لما قصدت له»[1].

❊ ❊ ❊

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٨/ ٥٣٧).

الخاتمة

منهجية التعامل أمر بالغ الأهمية والخطورة، فقد جعل الإسلام الالتزام بالدين في قسمٍ كبيرٍ منه متوقفًا على الأدب وحسن المعاملة.

ومن منطلق هذه الأهمية جاء القرآن الكريم ليضع لنا المناهج القويمة والأسس السليمة للتعامل، باعتباره موضوعًا أساسيًا من موضوعات هذا الدين. فقد أصّل القرآن الكريم لأدب التعامل، وأقامه على مجموعة من القواعد والأسس التي ينبثق من خلالها نتائج إيجابية وحسنة في العلاقات.

المنهج القرآني في التعامل شامل للوجود كله؛ وجميع تعاملات الإنسان مردها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو المشرِّع الذي يجب أن تُتَّبع تعاليمه أمرًا ونهيًا، فالإنسان أولًا وأخيرًا يتعامل مع الله سبحانه عقيدة وشريعة.

يقوم المنهج القرآني في التعامل والعلاقات بين أبناء الإنسانية على أسس وقواعد ترتكز على الاحترام المتبادل بين الناس، وحفظ الحقوق الإنسانية، كما أنه ينضبط بمبادئ تكفل إيجاد الروابط السليمة في بناء المجتمع الإنساني والارتقاء به إلى أعلى المستويات، وتحقيق أسمى القيم الاجتماعية وأرقاها، لتكون هي الحاكمة على علاقات الناس ببعضهم بعضًا.

المنهج القرآني في التعامل هو المنهج الأمثل والأحسن، وهو المنهج الذي يعود بانعكاسات إيجابية على العلاقات. ولو أن الإنسان المسلم التزم هذا المنهج لأصبح أنموذجًا حيًا للشخصية الاجتماعية الرّاقية المهذبة النقية، ولو أن أفراد الإنسانية أخذوا بتعاليم القرآن الكريم ومنهجه لكانت المجتمعات الإنسانية

طاهرة من الآفات الاجتماعية الخطيرة التي تئن الأمم تحت وطأتها، لما يشهده العالم من تفتت وضياع.

وفي الختام أوصي بما يأتي:

١- الاهتمام بإجراء الدراسات التي تبرز المنهج القرآني في مختلف جوانب الحياة الإنسانية؛ فالقرآن الكريم معين لا ينضب، ومجال البحث فيه واسع.

٢- التركيز على المناهج القرآنية في تأليف كتبنا ومناهجنا وإجراء بحوثنا، وعدم الجري وراء المناهج البشرية المستوردة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

١. **الأحكام الشرعية الكبرى.** الإشبيلي، محمد عبد الحق. تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة. الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠١م.

٢. **إحياء علوم الدين.** الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (د.ط) بيروت: دار المعرفة (د. ت).

٣. **أدب الدنيا والدين.** الماوردي، علي بن محمد. (د.ط) دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

٤. **أدب المعاملة وأثره في بناء العلاقات الإنسانية من منظور قرآني.** عودة عبد عودة. الشبكة العالمية، الرابط:

faculty.mu.edu.sa/download.php?fid=134454

٥. **الأذكار النووية.** النووي، محيي الدين يحيى بن شرف. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط. (د. ط) بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.

٦. **أسباب نزول القرآن.** الواحدي، علي بن أحمد. تحقيق: كمال بسيوني زغلول، (د. ط) بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

٧. **أصول المجتمع الإسلامي.** جمال الدين محمد. ط١،القاهرة وبيروت: دار الكتاب المصري واللبناني، ١٩٩٢م.

٨. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.** الشنقيطي، محمد الأمين. (د. ط) بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.

٩. **إعراب القرآن الكريم وبيانه.** الدرويش، محيي الدين. ط٦، دمشق وبيروت: اليمامة ودار ابن كثير، ١٩٩٩م.

١٠. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل.** البيضاوي، عبد الله بن عمر. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

١١. **أهداف الإسلام في توجيه الإنسان.** رفاعي، علي. مجلة الأزهر، ج (٤) السنة (٤٤)، ١٩٧٢م.

١٢. **الإيمان. ابن تيمية،** أحمد بن عبد الحليم. ط٥، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٩٦م.

١٣. **تاج العروس من جواهر القاموس.** الزبيدي، السيد محمد مرتضى. الكويت: التراث العربي، ١٩٧٥م.

١٤. **التحرير والتنوير.** ابن عاشور، محمد الطاهر. ط١، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٠م.

١٥. **تزكية النفس وتهذيبها.** الأميني، إبراهيم. دار البلاغة، ط٤، بيروت: (د.ن) ٢٠٠٠م.

١٦. **تفسير آيات الأحكام.** السايس، محمد علي، وآخرون. ط٢، دمشق وبيروت: دار ابن كثير ودار القادري، ١٩٩٦م.

١٧. **التفسير التربوي للقرآن الكريم.** الباز، أنور، ط١، القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠١٤م.

١٨. **تفسير القرآن العظيم**. ابن كثير. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

١٩. **التفسير الكبير**. الفخر الرازي. ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٢٠. **تفسير المراغي**. المراغي، أحمد مصطفى. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

٢١. **التفسير المنير**. الزحيلي، وهبة بن مصطفى. ط٢، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ.

٢٢. **التفسير الواضح**. الحجازي، محمد محمود. ط١٠، بيروت: دار الجيل الجديد، ١٤١٣هـ.

٢٣. **التقوى: حقيقتها وأهميتها وثمرتها**. شبكة راية الإصلاح. الرابط: https://rayatalislah.com/index.php/.../211-2013-07-22-14-23-54.

٢٤. **تهذيب اللغة**. الأزهري، محمد بن أحمد. تح: محمد عوض مرعب. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٢٥. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تحقيق: عبد الرحمن بن المعلا اللويحق. ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

٢٦. **جامع البيان في تأويل آي القرآن**. ابن جرير الطبري، محمد بن جرير. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط١: دار هجر للطباعة والنشر والإعلان، ٢٠٠١م.

٢٧. **الجامع لأحكام القرآن.** القرطبي، محمد بن أحمد. (د.ط) بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨م.

٢٨. **الرسالة التبوكية.** ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. تحقيق: محمد عزيز شمس. ط١، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٥هـ.

٢٩. **الروح. ابن قيّم الجوزية،** محمد بن أبي بكر. (د. ط) بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

٣٠. **روح الدين الإسلامي.** طبارة، عفيف. ط٣٠، بيروت: دار العلم للملايين: ١٩٩٥م.

٣١. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.** الألوسي، محمود بن عبد الله. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٣٢. **الزواجر عن اقتراف الكبائر.** ابن حجر، أحمد بن محمد الهيتمي. ط١، دار الفكر، ١٩٨٧م.

٣٣. **سنن البيهقي الكبرى.** البيهقي، أحمد بن حسين. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، ١٩٩٤م.

٣٤. **سنن الترمذي.** الترمذي، محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي (د. ت. ط).

٣٥. **سنن أبي داود.** أبو داود، سليمان بن الأشعث. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د. ط)، بيروت: المكتبة العصرية (د.ت).

٣٦. **سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية.** العمر، ناصر بن سليمان. الشبكة العالمية، الرابط:

https://d1.islamhouse.com/data/ar/ih_books/single4/ar_Surat_Alhogorat.pdf.

٣٧. **سورة الحجرات منهج تربوي لمجتمع مثالي**. الأمين، عبد الحميد عمر. رسالة ماجستير، السعودية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، ١٩٧٦م، (نسخة مرقونة).

٣٨. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. الجوهري**، إسماعيل بن حماد. تحقيق: أحمد عبد الغفور. ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

٣٩. **صحيح البخاري**. البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: مصطفي ديب البغا. ط٢، بيروت: دار ابن كثير واليمامة: ١٩٨٧م.

٤٠. **صحيح ابن حبان**. ابن حبان. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.

٤١. **صحيح مسلم**. مسلم، مسلم بن الحجاج. (د. ط) بيروت: دار الجيل ودار الآفاق الجديدة

٤٢. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. الشوكاني، محمد بن علي. تحقيق: سيد بن إبراهيم. ط٣، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٧م.

٤٣. **في ظلال القرآن**. قطب، سيد. ط٧، بيروت والقاهرة: دار الشروق، ١٤١٢هـ.

٤٤. **فيض القدير**. المناوي، محمد (عبد الرؤوف). ط١، مصر: المكتبة التجارية الكبر، ١٣٥٦هـ.

٤٥. **قبس من نور القرآن الكريم.** الصابوني، محمد علي. ط١، بيروت: دار السلام، ١٩٩٧م.

٤٦. **القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة.** شرف، جمال الدين محمد. ط٤، طنطا: دار الصحابة للتراث، ٢٠١٠م.

٤٧. **الكامل في الضعفاء.** الجرجاني، أحمد بن عدي. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود. ط١، بيروت: الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

٤٨. **كتاب التعريفات.** الجرجاني، علي بن محمد. (د. ط) بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.

٤٩. **الكشاف.** الزمخشري، محمود بن عمر، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م.

٥٠. **لباب النقول في أسباب النزول.** السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (د. ط) بيروت: دار الكتب العلمية.

٥١. **لسان العرب.** ابن منظور. ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ١٩٩٧م.

٥٢. **لطائف الإشارات.** القشيري، عبد الكريم بن هوازن. تحقيق: إبراهيم البسيوني. ط٣.مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب (د. ت)،

٥٣. **مباحث في إعجاز القرآن.** مصطفى مسلم. ط٢، الرياض: دار المسلم، ١٩٩٦م.

٥٤. **المجموعة الكاملة.** العقاد، عباس، ط١، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٤م.

٥٥. **محاسن التأويل.** القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

٥٦. **المستدرك على الصحيحين.** الحاكم، محمد بن عبد الله. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.

٥٧. **مسند البزار.** البزار، أحمد بن عمرو. ط١، مكتبة المدينة المنورة، ٢٠٠٩م.

٥٨. **معجم مفردات ألفاظ القرآن.** الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

٥٩. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.** النووي، محيي الدين يحيى بن شرف. ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.

٦٠. **هل الإسلام هو الحل.** محمد عمارة. ط١، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٥م.

٦١. **الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز.** الدامغاني، الحسين بن محمد. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣م.

٦٢. **الوصايا التسع في سورة الحجرات في التعامل مع الناس.** زغرب، شبكة الألوكة، ٢٠١٦م، الرابط: www.alukah.net.

❊ ❊ ❊

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص البحث	١٢٣
المقدمة	١٢٤
التمهيد في سورة الحجرات بيان التنزيل ومقتضيات المضمون	١٣١
المبحث الأول منهج التعامل مع الله ورسوله	١٣٤
■ المطلب الأول: منهج التعامل مع الله تعالى عقيدة وشريعة	١٣٦
■ المطلب الثاني: منهج التعامل مع المقام النبوي	١٤٤
المبحث الثاني: منهج التعامل الإنساني	١٤٩
■ المطلب الأول: منهج التعامل في ظِلال الوَحدة الإنسانية العامة	١٥٠
■ المطلب الثاني: منهج التعامل في ظِلال المجتمعات الإنسانية	١٥٣
الخاتمة	١٧٥
المصادر والمراجع	١٧٧
الفهرس	١٨٤

❊ ❊ ❊